

البيوت تضحك، السعادة مضمونة.

الجبل يتعوّد، الإرتفاع مهدّد.

الأشجار تتحنّ، الرياح مرئية.

رسم الأطفال شكل من أشكال اللغة، يلعب دوراً مهماً في نموهم الثقافي والحسي والاجتماعي، فاسحاً المجال واسعاً للتحكم بالأعضاء والمواد، مؤلّباً الرغبة في ابتكار المفردات للتعبير عن الإنجازات الثمينة.

البراءة والعفوية، السذاجة واللعب، الإلاحاح والصبر، الدهشة والتساؤل، الاطلاع والإكتشاف، الإطراء والتشجيع، دروب تنقل عبرها المعارف التي تنمي التركيز وتفعّل الذاكرة، وتمنح التجربة حضوراً ملموساً.

إن القيام بالفعل من خلال المشاركة مع الآخرين هو تحقيق للذات، ومحاولة ضرورية يستخدمها الطفل خلال بحثه عن الإنتماء لمجتمعه. فالمواهب متنوّعة بطبيعتها، مما يفتح الطيف واسعاً أمام المشاركات المتباينة. التي ستعكس آليات متعددة في التفكير. مفضية إلى شخصيات إبداعية وثقافية. فالمشاركة في تناول الموضوع - باختصار - هو بوابة الوعي والفهم.

بصيرة الأطفال في المراحل الأولى لا تشترط امتلاك الحرفة في محاولاتها نقل الموضوع إلى الورق أو الطين أو المعدن أو القماش. لهذا تعتلي الكنيسة البيوت في معلولا بترفع، بينما يحيط الجبل بالحدث. ومع الوقت يستجيب الطفل لمتطلبات التمثيل والتشخيص، محاولاً الإقتراب من الشبه، مما يدفعه إلى استخدام تقنيات مساعدة للإلمام بما يمكن من تفاصيل.

تفيض الأعمال - التي كان عليّ انتقاء مادة الكتاب منها - بالتعبيرات والقراءات، إلى درجة تجعلني أقول: لولا ضرورات النشر وآليات تصميم الكتاب لكان علينا أن ننشر كتاباً من آلاف الصفحات. فالخطوط والألوان وما بينها من حقول وفسحات، من امتلاءات وفراغات، تشكل بياناً نوعياً لضمائر

وشخصيات تتزلق بين ظهرانيها مؤكدة حضوراتهم المختلفة والمتنوعة، موقعين الكتاب برسوم وجوههم الصادقة وأسمائهم في الصفحات الأخيرة.

لقد اطلّعت خلال العام الدراسي المنصرم على الجهود المبذولة، والتعلّق النوعي للتلاميذ بمادة الفنون من خلال المنهج القائم على المشاركة في النشاط الفني واستطلاع القدرات والإمكانات التي تتشارك في الإنجاز الفني، وتنافست في الوصول إلى البنية التشكيلية للعمل كلّ من الخبرات، ومحاولات التعرف، ونزعات التميّز والتحسين والتجويد والرغبة بتنظيم العلاقات بين الخطوط والأشكال وصولاً إلى نسيج تشكيلي يفتن العيون الخبيرة.

ورأيتني - أنا الآخر - مفتوناً بما أنجزه الأطفال، فنوّرت هنا وعتّمت هناك، ضبطت لوناً أو عالجت سطحاً، شفّفت أو أكّدت شكلاً، وعملت على إنجاز كتاب لا بد من أنه لن يمر مرور الكرام في الحياة الثقافية.

أخيراً أتوجه بالامتنان والشكر لإدارة مدرسة البشائر على منحي شرف العمل في هذه الوثيقة الحضارية.

د. أحمد معلا